جامعة النجاح الوطنية – كلية العلوم الإنسانية

قسم اللغة الإنجليزية وآدابها

ترجمة رواية "القبلة" ل أنطون تشيخوف

اشراف :
د. عبد الكريم دراغمة

اعداد الطلبة:

رامي صبيحات

محمد عاصي

معاذ عودة

٢٠١٧

في الساعة الثامنة من مساء العشرين من شهر مايو ، توقفت الست مجموعات الاحتياطية للواء المدفعية في قرية مايستشكي وهم في طريقهم الى المعسكر. كان الاضطراب العام في ذروته، وكان بعض القادة مشغولين بشدة بأسلحتهم وكان اخرون قد جمعوا انفسهم في ساحة بجانب سياج الكنيسة يستمعون الي رئيس الخدم. فهو رجل يرتدي زياً مدنياً ويمتطي حصاناً غريباً قادماً في جولة حول الكنيسة. فكان الحصان صغيراً ذا لون بني برقبته الجميلة وذيله القصير، ولم يكن يتحرك بطريقة مستقيمة بل كان يمشي بطريقة جانبية كأنها نوعاً ما حركة راقصة كأنه قد ضُرِبَ بالسوط على قدميه. وعندما وصل الرجل الذي يمتطي الحصان الى الضباط، خلع قبعته عن رأسه وقال:

ا

" يدعوكم سعادة اللواء فون راباك الان لشرب الشاي معه".

التف الحصان وقفز، ثم رفع الرسول قبعته مرة أخرى واختفى هو وحصانه في لحظة واحدة خلف الكنيسة.

قال أحد الضباط ناظراً الى مكانهم "ماذا بحق الشيطان يعني هذا؟ أحدهم نعسان، وها هو فون راباك يشرب الشاي! نحن نعلم ماذا يعني شرب الشاي".

تذكر الضباط والست مجموعات التي يرافقنهم بوضوح حادثة كانت قد حدثت في السنوات الماضية في فترة مناورات عديدة، بحيث كان ضباط فوج جيش كوساك مدعوين بذات الطريقة لشرب الشاي عند الكونت بحيث كان هذا الكونت متقاعداً وكان يملك بيتاً في المناطق المجاورة. فقد كان مضيافاً وودوداً بحيث انه اطعمهم وامد عليهم بالمشروبات واصرّ ان يبيتوا عنده طوال الليل.

وكان كل ذلك بالطبع لطيفاً جداً ولم يكن هناك أي شيء مرغوباً أكثر من ذلك. ولكن أسوأ ما حصل انه قد تملّك ضابط الجيش الكبير الحماس برفقة الرجال اليافعين لدرجة انه قد استمر في رواية حكايات من ماضيه الجميل للضباط، وأخذهم في جولة داخل البيت يريهم الصور الباهظة الثمن والنقوش القديمة والأسلحة النادرة ويقرأ لهم رسائل من اشخاص عظماء. كان الضباط المُرهّقون فقط يستمعون وينظرون، مع شعورهم بالشوق لأسرّتهم ويتثاءبون بأكمامهم. ثم سمح لهم مستضيفهم بالذهاب في النهاية الا ان الوقت كان قد تأخر ليأخذوا قسطهم من النوم.

ألن يكون فون راباك كغيره؟ سواءً كان كغيره ام لا، فلا مفر من الامر. قام الضباط بتغيير بزاتهم واغتسلوا وذهبوا جميعاً للبحث عن منزل السيد، لقد تم اخبارهم في ساحة الكنيسة انه يمكنهم الوصول اليه من خلال الطريق السفلي حيث عليهم النزول من خلف الكنيسة باتجاه

النهر ومن ثم المشي بمحاذاة ضفة الحديقة حيث سيكون هناك طريق شجري سيرشدهم الى المنزل. او بإمكانهم ان يمرّوا من الطريق العلوي الذي يقودهم مباشرة من الكنيسة الى ذاك الطريق الذي يبعد مسافة نصف ميل عن القرية، فالطريق يقودنا مباشرة الى صومعة سعادته. ثم قرر الضباط الذهاب من الطريق العلوي.

تساءل الضباط وهم في طريقهم الى هناك

- **"من يكون فون راباك هذا؟"**

- **"هو بالتأكيد ليس من كان في قيادة ال ن.... كتيبة في بليفنا؟**

- **"لا، لم يكن ذلك فون راباك، كان ذلك سيداً وليس نبيلاً"**

- **" يا له من طقسٍ جميل"**

وفي بداية الصومعة، انقسم الطريق الي طريقين، احداهما مساره مستقيم ويختفي مع ظلمة المساء والأخر يؤدي الي مالك البيت في جهة اليمين. التف الضباط نحو اليمين وبدأوا بالتكلم بطريقة أكثر هدوءً. وامتدت صخور الرخام ذات قبب حمراء تبدو كئيبة على جوانب الطريق، ولمعت من امامهم نوافذ قصر المالك.

قال أحد الضباط:

- **"هذا فال خير أيها الرجال"، فرسالتنا هي الأبرز. فبلا شك اشم رائحة لعبةٍ ما.**

كان اللواء لوبايتكو يمشي في المقدمة، فهو رجل طويل وقوي البنية لكنه بلا شارب عمره أكثر من خمسة وعشرون سنة، الا انه لسبب ما لم ينمُ الشعر على وجهه المليء والمستدير بعد. كان اهم ما يميزه مقدرته الغريبة على التكهن بوجود النساء من مسافة بعيدة حيث انه التفت الى الوراء وقال:

- **"لا بد من وجود امرأة هنا، هذا ما يقوله لي حدسي"**

التقى فون راباك بالضباط على عتبة المنزل، وراباك هذا رجل وسيم في الستين من عمره يرتدي زياً مدنياً، يصافح ضيوفه ثم قال انه مسرور جداً بمقابلتهم، الا انه استحلفهم بالله بأن

يعذروه لأنه لا يمكنه دعوتهم للبقاء عنده الليلة، فقد جاءت اختاه واطفالهن لزيارته، وبعض الاخوة والجيران، لذلك لم يتبقّ أي غرفة إضافية في المنزل.

صافح الجنرال الجميع ثم اعتذر وابتسم، لكنه كان واضحاً من ملامح وجهه انه كان مسروراً في أي حال من الأحوال مثلما كان عندما التقى بهم في السنة الماضية، حينها قام بدعوة الضباط لأنه باعتقاده الشخصي كان يظن انه واجب اجتماعي. بينما صعد الضباط الدرج ذو البِساط الجميل واستمعوا للعائلة، انتابهم الشعور بأنهم قد دُعوا الى المنزل فقط لأنه سيكون غريباً لو لم تتم دعوتهم، في مرأى الخدم الذين سارعوا لإشعال الأضواء في المدخل السفلي وفي الردهة العليا، بدأ الضباط يشعرون أنهم قد تسببوا بمضايقة العائلة وان العائلة غير مرتاحة بوجودهم في المنزل معهم. اجتمعت أُختان واطفالهما، واخ وجيران في المنزل ربما لإقامة احتفال عائلي او مناسبة خاصة، فكيف يكون وجود تسعة عشر ضابطاً مجهولين مرحّباً به؟

قابل الضباط في مدخل غرفة الرسم سيدة كبيرة في السن رشيقة ذات حواجب سوداء ووجه طويل، وكأنها الامبراطورة يوجيني. كانت تبتسم بلطافة وعظمة وقالت السيدة بأنها سُرّت بمقابلتهم واعتذرت لأنها كانت هي وزوجها في الاحتفال العائلي وعلى عدم قدرتهم على دعوة السادة الضباط للبقاء تلك الليلة. وأوحت ابتسامتها الساحرة التي تختفي حال ما تنصرف عن ضيوفها انها قد قابلت عدداً من الضباط خلال يومها، وأنها ليست بمزاج لرؤيتهم الان. وكونها دعتهم لمنزلها واعتذرت لعدم ضيافتها لهم كما يجب، ذلك لأن منزلتها ومكانتها بالمجتمع تتطلب ذلك.

عندما دخل الضباط لغرفة الطعام وجدوا عدداً كبيراً من الناس، رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً يجلسون ويحتسون الشاي في طرفِ طاولةٍ طويلة. حيث كان هناك العديد من الرجال بالكاد يظهرون في غرفة مليئة بدخان السجائر. وكان يقف في وسطهم رجلاً ضامراً صغيراً ذا شاربٍ احمر يتكلم بصوتٍ عالٍ ويتلعثم في تكلمه للإنجليزية. ومن خلال باب يظهر من خلف المجموعة، توجد غرفة مضيئة بأثاث ازرق باهت.

صاح الجنرال في محاولة ان يبدو مبهِجاً:

- **"أيها السادة، أنتم كثيرون، لذلك من المستحيل تقديمكم جميعاً"، "لا تترددوا في التعارف على بعضكم".**

رغم ان الضباط اعتلتهم نظرة جادة وصارمة، وابتسامة مصطنعة وشعور غريب، الا انهم قاموا بالانحناء احتراماً وجلسوا لاحتساء الشاي.

كان ريابوفيتش أكثر الضباط حرجاً فهو ضابط صغير يرتدي نظارات، ذو اكتاف مائلة وشوارب كالوشق. بينما بدى البعض من رفاقه جادين في تعابيرهم، واخرون يحملون ابتسامة مصطنعة على وجوههم، بدا وجهه ذو الشارب الشبيه بالوشق ونظاراته كأنه يقول بأنه الأكثر خجلاً وتواضعاً والاقل تميزاً في الفرقة. في البداية وفي طريقه الى الغرفة وعند جلوسه على الطاولة، لم يستطع ان يحدد انتباهه على وجه أي شخص اخر او على أي شيء

اخر. الوجوه، الفساتين، عبوات مشروب البراندي الزجاجية، البخار الصاعد من الكؤوس، والزخرفات القولبة، كل ذلك ممزوج في انطباع جنرال واحد فقط بحيث انها منحته الرغبة في إخفاء نفسه عن انظار الحضور. كالمعلم الذي يظهر لأول مرة امام الناس، فقد رأى كل شيء امام عينيه، لكنه من الواضح أنه كان لديه فهم ضئيل عنه، فبالنسبة لخبراء النفس في هذه الحالة، عندما يرى الشيء ولكنه لا يفهمه، فهدا يدعى العميان الجسدي في علم النفس. وبعد برهة قصيرة، استطاع ريابوفيتش ان يرى بوضوح و بدأ بالملاحظة، كرجل خجول غير معتاد على المجتمع، كان من المثير للدهشة في البداية انه كان دائماً ضعيفاً، أي الجرأة الاضافية التي يستمدها من رفاقه الجدد. أمّا فون راباك وزوجته وسيدتان كبيرتان وأخرى صغيرة بزيّ ارجوانيّ والرجل الصغير ذو الشارب الاحمر الذي بدا وكأنه ابن فون راباك الأصغر، فكانوا كأنهم قاموا بذكاء بالتدريب على ذلك بحيث انهم وضعوا كراسيهم بين الضباط وفجأة جاؤوا بمناقشةٍ حامية لا يستطيع الزوار ان يشاركوا بها، اكدت السيدة ذات الفستان الارجواني بإثارة بأن المدفعية كانت تملك وقتاً افضل من سلاح الفرسان والمشاة، بينما كان رأي فون راباك و السيدتان الكبيرتان العكس، تبع ذلك تبادل سريع في الكلام. نظر ريابوفيتش الي السيدة ذات الفستان ذي اللون الارجواني التي جادلت بإثارة عن ما لم يكن مألوفاً وغير مثيراً للاهتمام لها، وقد شاهد أيضاً ابتسامات مصطنعة تظهر وتختفي عن وجهها.

تمكن فون راباك وعائلته بمهارة من اقحام الضباط في نقاش، واستمر ريابوفيتش بمراقبة الكؤوس والافواه لرؤية إذا ما كان الجميع يشربون او اذا ما كانوا يأخذون كمية كافية من السكر، معرفة سبب عدم وجود اشخاص لا يأكلون الكيك او يشربون البراندي. وكلما شاهد ريابوفتش أكثر واستمع اكثر، كلما انبهر اكثر بالعائلة المخادعة والمنضبطة بشكل مذهل.

ذهب الضباط الى غرفة الرسم بعد انتهائهم من احتساء الشاي، لم يخدع الحدس اللواء لوبيتكو. لقد كان هناك عدداً كبيراً من البنات والسيدات المتزوجات. كان الخادم يقف بجانب فتاة صغيرة وجميلة ترتدي فستاناً اسود، وينحني اليها بِمرح كما انه يميل الى سيفٍ غير مرئي، ابتسم الخادم وهز كتفيه بوطأة، فعلى الأرجح انه قد تكلم بترهات، نظرت الفتاة الجميلة الى وجهه المليء بتعالٍ وسألته بلا مبالاة، "حقاً"؟ لو كان الخادم ذكياَ لأدرك من كلمة "حقاً" النابعة عن عدم الاكتراث انها لم تكن لتطلب منه ان يضبط نفسه.

وابتدأت أصوات البيانو بالظهور، فطافت معزوفة فالس الكلاسيكية واندفعت خارج النوافذ المفتوحة، وتذكر الجميع لسبب ما انهم في فصل الربيع، في مساءٍ من شهر مايو. اثارت رائحة عطر ورد اللايلاك وورقات الحور الصغيرة انتباه الجميع. فلفت ريابوفيتش الأنظار الى نفسه بعد ان سكِر من شرب خمر البراندي، استرق نظرة على النافذة وهو تحت تأثير الموسيقى، وابتسم وبدأ بمشاهدة حركات النساء، فقد بدا له بأن رائحة الورود والحور واللايلاك لم تأتِ من الحديقة، بل أتت من وجوه وفساتين النساء.

دعى ابن فون راباك سيدة نحيلة للرقص، وطاف معها في جميع انحاء الغرفة مرتين. قام لوبيتكو بالتزحلق على الأرض الخشبية منطلقاً نحو السيدة ذات اللباس الارجواني و من ثم قام بلفّها. ابتدأ الرقص ووقف ريابوفيتش بجانب الباب بين هؤلاء الذين لا يرقصون وفقط يشاهدون .فهو لم يرقص ابداً طيلة حياته، ولم يضع يده على خصر امرأة جليلة، لقد كان في منتهى السعادة في ان يأتي رجل لفتاة لا يعرفها امام الجميع ويمسكها من وسطها ويقدم لها كتفيه لتضع يدها عليهما، الا انه لم يتخيل نفسه ان يكون في هذا المكان. فقد مرت أوقات كان يحسد ريابوفيتش فيها رفاقه على جرأتهم واختيالهم ومن ثم يشعر بالبؤس بداخله فقد شعر

بالخزي من حقيقة انه كان شخصاً خجولاً وان كتفيه دائريان وأن لديه وسط طويل وشارب كحيوان الوشق، لكنه مع مرور السنوات، نضج معتاداً على هذا الشعور، اما الان فبإمكانه النظر الى رفاقه يرقصون ويتكلمون بصوتٍ عالٍ دون ان يحسدهم الا انه يتأثر ويشعر بالاسى.

وعندما بدأت رقصة الكوادريل، تقدم فون راباك الى الأشخاص الذين لم يكونوا يرقصون ثم دعا ضابطين الى لعبة بلياردو، وافق الاثنان ومن ثم خرجوا من غرفة الرسم. فلم يكن لريابوفيتش شيئاً ليفعله، فتمنى انه يكون له دور في الحركة العامة، فقد تبعهم بتكاسل. انتقل فون راباك والضباط من غرفة الرسم الكبيرة الى غرفة الرسم الصغيرة، ومن ثم الى ممر صغير بسقفٍ زجاجي، من ثم الى غرفة على مدخلها كنبة قد نهض عنها بسرعة ثلاثة خدم يبدو عليهم النعس. وأخيراً بعد المرور من سلسلة متتالية من الغرف، وصل فون راباك والضباط الي غرفة صغيرة تحتوي على طاولة بلياردو، فبدأو باللعب.

بينما كان يقف ريابوفيتش بجانب طاولة البلياردو ناظراً الى اللاعبين نظرات لا مبالاة بحيث انه لم يكن يعرف الا اللعب بالورق، كانت معاطف اللاعبين محلولة الازرار، وعصي البلياردو في أيديهم، يتحركون، ويتلاعبون بالكلام ويصيحون بكلمات مبهمة.

لم يلاحظه اللاعبون، فكانوا بين الحين والاخر يدفعونه عن غير قصد بأكواع أيديهم وعصي البلياردو، فيستديرون لقول "عذراً"

سئم ريابوفيتش قبل ان تنتهي اللعبة الأولى، وبدأ بالإحساس انه غير مرغوب به معهم، وشعر انه من الأفضل له ان يعود الي غرفة الرسم، ثم خرج!

وفي طريق العودة الى الغرفة واجه مغامرة صغيرة، وعندما قطع نصف الطريق، لاحظ انه قد سلك المنعطف الخاطئ، فقد تذكر بوضوح بأنه يجب ان يرى بطريقه ثلاثة خدم، الا انه قد مر بخمس او ست غرف الا ان الخدم الثلاثة بدوا وكأنهم اختفوا في الأرض. بعد ان انتبه الى خطئه، عاد في طريقه ثم اتجه الي الطريق الصحيح، ثم وجد نفسه في غرفة صغيرة معتمة لم يرَها عندما كان ذاهباً الى غرفة البلياردو. وبعد الوقوف هناك لبرهة من الزمن، قام بحزم بفتح اول باب وقعت عيناه عليه ودخل الى غرفة شديدة الظلام، فقد رأى امامه في الغرفة شقاً من باب ينبثق منه ضوءً مشرقاً، وقد سمع صوتاً خافتاً من الجانب الاخر من الباب وكان هذا الصوت صوت رقصة مازوركا حزينة، هنا ايضاً في غرفة الرسم، كانت النوافذ مفتوحة على مصراعيها وكانت تفوح رائحة الحور واللايلاك والورود.

وقف ريابوفيتش ساكنا مترددا في تلك اللحظات حيث كان متفاجئا عند سماعه خطوات اقدام وصوت حفيف ثوبٍ. صوت أُنثَوي همس في اذنه قائلا : واخيراً!

ثم قامت ذراعان ناعمتان معطرتان بعناق رقبته حيث كان واضحا انهما ذراعا انثى، وقامت بوضع خدها على خده في نفس الوقت وقبلته. ولكن بلمح البصر تحول صوت القبلة الى شهقة خافتة وتراجعت عنه الى الخلف كما بدا له بانها نفرت منه. هو ايضا كان على وشك ان يصرخ وخرج مسرعا نحو بصيص الضوء القادم من عند الباب.

عندما عاد الى غرفة الرسم كان قلبه يدق ويداه ترتجفان بشكل ملحوظ حتى انه قام بسرعة بإخفائهما خلف ظهره. في البداية كان مغمورا بمشاعر العار والجزع من كون كل من في غرفة الرسم يعرف بانه قد قبلته وعانقته امرأة قبل لحظات. وقف ينظر الى نفسه وهو غير مرتاح وتنهد بينه وبين نفسه ولكن عندما نظر الى الناس في القاعة يرقصون ويتحادثون بهدوء اكثر من أي وقت مضى، اقتنع بانه لم يلاحظه احد عندها قد سلم نفسه كليا للاحساس الجديد الذي لم يكن قد جربه مسبقا في حياته. شيء غريب كان يحدث معه، رقبته التي كانت قبل لحظات تتشبث بها يدان ناعمتان متعطرتان بدت له وكأنها قد دهنت بزيت. حيث قبلته المراة المجهولة الهوية على خده الايسر بالقرب من شاربه. فقد شعر بوخز بارد كانها قطرات من النعناع وكان كلما قام بفرك المكان يزداد الشعور بالوخز البارد بشكل ملحوظ من راسه حتى اخمص قدميه، لقد كان يغمره شعور غريب جديد وكان يزداد بشدة شيئا فشيئا.

كان يريد ان يرقص وان يتحدث مع الناس ويركض الى الحديقة وهو يضحك بصوت مرتفع لدرجة انه قد نسي للحظات بأنه يمتلك اكتافا مدورة وانه غير ممتع وبأنه يملك شاربا يشبه شارب حيوان الوشق ومظهره غير مميز، هكذا تم وصف مظهره من قبل بعض السيدات في الحفلة حيث كان قد سمع محادثتهن حوله عن طريق الخطأ.

وعندما مرت من جانبه زوجة فون راباك تبسم لها ابتسامه واسعة وودية مما جعلها تقف وتنظر اليه باستغراب واستعجاب.

قال وهو يعدل نظاراته بشكل مستقيم:

"اعجبني منزلك جداً!"

ابتسمت زوجة الجنرال واخبرته ان المنزل كان لابيها، ثم سالته عما اذا كان والداه على قيد الحياه، وهل مضى وقت طويل منذ انضمامه للجيش، و عن مسوغٍ لكونه ضعيفاً واسئلة أخرى ، ثم ذهبت بعد ان اجابها على اسئلتها واصبح بعد هذه المحادثة اكثر بشاشة من قبل، وايقن انه محاط بأناسٍ رائعين.

عند العشاء، اكل ريابفوتش كل ما قدم له من طعامٍ وشراب غير مبدٍ اهتمامه لاي شيء، وفكر عما قد حصل معه للتو ، كانت هذه المغامرة محفوفة بالغموض والرومنسية، الا انه لم يكن من الصعب شرح ذلك. لقد كانت بلا شك فتاه او امراه شابة متزوجة قد رتبت موعدا غراميا مع احدهم في الغرفة المعتمة، وكان من الواضح ان ذلك الشخص قد انتظر وقتا طويلا دون جدوى، ونتيجة لكونه قد اصبح مترددا ترك المكان ثم جاء ريابوفتش ليكون مكانه ويحصل ما حصل معه. بالنسبة لريابوفتش، كان ذلك التفسير الوحيد المحتمل للقبلة التي حصل عليها بعد وقت طويل من التفكير والتردد وكأن امرا كان من المتوقع ان يحصل.

ثم تساءل

"من تكن هذه الفتاه؟"

كان يتساءل مع نفسه وهو ينظر الى وجوه النساء في المكان.

"يجب ان تكون صغيرة في السن لان السيدات الطاعنات في السن لا يعطين موعدا غراميا".

كان حفيف ملابسها، عطرها وصوتها دليلا على وجوب كونها سيدة في مقتبل العمر.

صوب نظراته على السيدة الشابة ذات الفستان الارجواني ورأى في نفسه أنها جذابة، كانت لديها اكتاف جميلة وذراعان جميلان، كان وجهها رشيقا جميلا وصوتها ناعما. كان لدى ريابوفتش أملاً وهو ينظر اليها بانها هي فتاته المجهولة، لكنها بشكل ما ضحكت ضحكة مصطنعة وسرعان ما أدارت نفسها حتى رأى أنفها المتجعد الذي يوحي نوعاً ما انها كبيرة في السن ولا تملك صفات الفتاه التي قبلته في الغرفة المعتمة. ثم أدار عينيه نحو فتاةٍ اخرى، كانت حسناء تلبس ثوبا اسود. لقد كانت اصغر وابسط واكثر صراحة منهن، كان لديها جبينا ساحرا وشربت كاسا من النبيذ بتلذذ شديد. كان لدى ريابوفتش املاً أنها هي الان، لكن لم يمض وقت طويل حتى ظهر له وجهها مسطحا مما يعني انها ليست هي من يبحث عنها، ثم ادار وجهه وبدا ينظر الى فتاه اخرى بجانبها.

فكر بعمق قائلا:

- **" انه من الصعب ان أخمن "**

واضاف الى نفسه قائلا:

- " إذا ما اخذنا اكتاف وذراعي الفتاه الارجوانية، بالإضافة الى جبين الفتاه الحسناء وعيون تلك الفتاه على يسار لوبيتكو، اذن.....".

قام بتركيب كل هذه الصفات في مخيلته ليشكل صورة الفتاه التي قبلته، تلك الصورة التي ارادها لها ولكنه لم يتمكن من العثور عليها.

وبعد العشاء، بدأ الضباط بالمغادرة مبدين شكرهم وامتنانهم للجنرال وقد كانوا شبعانين من الطعام وسعداء للغاية. ابدى فون راباك وزوجته اعتذارهم لهم لعدم مقدرتهم على استقبالهم طوال الليلة.

ثم قال لهم:

- "سررت جدا بمقابلتكم أيها السادة، امل ان تزورونا مرة أخرى فلا داعي للحرج، اين أنتم ذاهبون؟ أتريدون ان تسلكوا الطريق العلوي؟ كلا، اذهبوا من خلال الحديقة، انها أقرب هنا خلال الطريق السفلي".

وكان في منتهى السعادة ربما لأن الناس مخلصون ولطفاء مع ضيوفهم عند تصريفهم أكثر بكثير من لحظة استقبالهم.

غادر الضباط نحو الحديقة، وما أن تخطوا الاضواء والضوضاء حتى بدت الحديقة شديدة الظلام والهدوء. سلكوا طريقهم في هدوء الى البوابة وهم سكارى قليلا ومسرورين وبحالة جيدة. لكن الظلام والهدوء جعلاهم يفكرون للوهلة ومن المحتمل ان تلك الفكرة نفسها قد أتت لمخيلة كل فرد منهم تماما مثل ريابوفتش، حيث كانت دائرة تفكيرهم تقودهم الى التساؤل في أنفسهم عما اذا كان من الممكن ان يكونوا مثل فون راباك، ان يملكوا منزلا كبيرا وعائلة وحديقة ايضاً، حيث يكونون قادرين على استقبال الضيوف حتى ولو كان الامر بتصنع، يقدمون لهم الطعام والشراب حتى يجعلوهم في غاية الثمالة والسرور.

بدأوا جميعهم بلا استثناء بالتكلم والضحك بصوت عالٍ بلا سبب أثناء خروجهم من بوابة الحديقة. ثم مضوا من خلال الممر الصغير الذي يقود الى أسفل النهر، ثم مشوا بمحاذاة المياه وبدأوا يلتفون حول الشجيرات على ضفة النهر، برك المياه ونبات الصفصاف المتدلي على المياه. كان يصعب رؤية الضفة والممر وكانت الضفة الأخرى دامسة تماما في الظلام. كانت نجوم السماء منعكسة على المياه السوداء. ارتجف الضباط وأصبحوا متفرقين على سطح مياه النهر وكان النهر يتدفق بسرعة ووضوح، ولم يزل النهر على ذلك الحال. صاح الخامل كيرلس بنبرته الناجمة عن الانزعاج مخبرا الجميع أن هناك عندليبا يغرّد بصوت مرتفع في الضفة الاخرى داخل احدى الشجيرات، كان يغني غير مباليا بحشد الضباط الكبير في المكان. وقف الضباط حول الشجيرة، وقاموا بلمسه، لكن العندليب غادر المكان مغرداً.

أبدوا استياءهم صارخين:

- "يا لهذا المخلوق الغريب! نقف بجانبه ولا يبدي لنا اي اهتمام! يا له من وغد"

أصبح الممر صاعدا في نهاية الطريق، ثم اندمج مع الطريق بمحاذاة اخر الكنيسة. هنا بدأ الضباط بالمشي صعودا وثم جلسوا ليستريحوا وأشعلوا سجائرهم. بدت لهم من الأفق شعلة داخنة من النار في الجانب الاخر من النهر ولم يكن لديهم شيء أفضل من التحدث عنها وعن سبب ظهورها إذا ما كانت شعلة من المعسكر او ضوءً ساطعا من احد النوافذ، او شيئا اخر غير ذلك. نظر ريابوفتش ايضا الى الضوء، متخيلا ان الضوء ينظر اليه ويغمز له بطريقة تدل على انه يعرف شيئا ما عن القبلة.

خلع ريابوفتش ملابسه بأسرع ما لديه فور وصوله المسكن الذي يقطن فيه وذهب الى الفراش. كان كلا من لوبيتكو وميرزليكوف معه في نفس المسكن. ميرزليكوف، ذلك الرجل المسالم الهادئ الذي كان يعتبره الجميع الضابط المتعلم، وكان دائما عند الامكان يقرا " فيستينك ايفروبي" التي كان يحملها معه اينما ذهب. بدأ لوبيتكو يجول ذهابا وإيابا عارياً في الغرفة وبدت عليه علامات الغضب والتوتر وطلب بعضا من النبيذ. بينما ذهب ميرزليكوف الى الفراش، وضع شمعةً بجانب وسادته واقحم نفسه في قراءة " فيستنك ايفروبي ".

تساءل ريابوفتش مع نفسه

- " من تكون هي؟ "

مركزا نظراته على سقف الغرفة الكثيف بالدخان.

كان لا يزال يشعر وكأن رقبته مدهونة بالزيت، وكان لديه شعور دافئ بالقرب من فمه وكأنه منغمس بقطرات النعناع. أكتاف وذارعا السيدة الارجوانية، الفتاه الحسناء ذات الجبين الرائع والعينين الصادقتين بلباسها الأسود، الخصور، الفساتين والدبابيس، كل هذه الاشياء طُرِحَت في مخيلته وتفكيره. حاول أن يثبت انتباهه على هذه الصور، لكنها سرعان ما تناثرت من مخيلته وذهبت وميضاً. عندما اختفت هذه التصورات من الظلام الذي يرى من خلاله هذه الاشياء وهو مغلقا عيناه، يبدا يسمع اصوات خطوات مسرعة، حفيف التنانير، وصوت قبلة اصابته إثر ذلك بهجة قوية لا سبب لها. وفي محاولةٍ بأن يتخلى عن هذه البهجة التي لا سبب لها، سمع صوت الخادم معلناً بعدم وجود النبيذ. سخط لوبيتكو بشكل رهيب، وبدأ يدور في الغرفة ذهابا وايابا من جديد.

استمر في ذلك قائلا موجها كلامه الي الجميع وكان يجري ما بين ريابوفتش و ميرزليكوف:

- "حسنا، أليس هذا مغفلا؟"

ثم قال ايضا:

- "يا له من رجل ابله وغبي لا يقدر على احضار بعض من النبيذ! أليس هذا وغدا؟"

أجابه ميرزليكوف وهو مركز عينيه في قراءة "فيستنك ايفروبي":

- "بالطبع لا يمكنك الحصول على نبيذ هنا".

ركب لوبيتكو رأسه قائلا:

- "اللهم عافِنا، ان وضعتني على سطح القمر سوف اجلب لك بعض من النبيذ والنسوة مباشرة! سوف اذهب واجد نبيذا على الفور وان لم اجد، سأكون ثرثاراً لا اكثر!"

لقد أمضى وقتا طويلا في لبس وسحب حذائه العالي، ثم اشعل سيجارة بهدوء وذهب خارجا.

تمتم قائلا وهو يقف بالغرفة الخارجية:

- "راباك، غرابيك، لابيك... لست مهتما بالذهاب لوحدي، اللعنة! ريابوفتش، هل تود الذهاب لنتمشى قليلا؟"

لم يجبه ربوفيتش، مما جعل الاخر يضطر الى العودة، خلع ملابسه على بطءٍ وذهب الى النوم. تنهد ميرزليكوف، ثم وضع "فيستنك ايفروبي" جانبا وأطفأ النور.

كان لوبيتكو لا يزال يتمتم مشعلاً سيجارة في الظلام.

غطى ريابوفتش نفسه بالفراش وبدأ بتجميع تلك الصور العائمة في مخيلته من اجل ان يتوصل الى هيئة فتاة واحدة، الا أنه لم يقدر على ذلك. وغط في النوم بعد ذلك بقليل، واخر شيء كان قد فكر فيه هو ان شخصا ما قد داعبه وادخل السرور الى قلبه. هذا أمر استثنائي وسخيف، لكنه مرح وممتع في نفس الوقت. لم تغادر هذه الفكرة مخيلته حتى في نومه.

عندما استيقظ صباحا، كانت احاسيس بقع الزيت على رقبته ونكهة النعناع على شفتيه قد اختفت، لكن البهجة لا تزال تغمر قلبه تماماً كما في اليوم السابق. نظر بحماس الى إطار النافذة الذي يبدو وكأنه مكسوّ بالذهب من اشراقة الشمس، وبدأ يستمع الى المارة. كان الناس يتحدثون بصوت عالٍ بالقرب من النافذة. كان ليبيدتسكي قائد مجموعة ريابوفيتش يتكلم مع الرقيب بأعلى صوته حيث أنه اعتاد دائما على الصراخ.

- "ماذا أيضا؟"

- "عندما كانوا يلبسون احذيتهم بالأمس، دخل مسمار في حافر الطير، ثم وضع الطبيب البيطري له بعض الطين والخل وهم يعتنون به الان. وأيضا سيدي، كان كاربوف ثملا وأمر الجنرال بوضعه في عربة النقل الخاصة بقطع غيار الاسلحة".

أبلغه الرقيب أيضا بان كاربوف كان قد نسي الحبال الجديدة التي تنصب بها الخيام، وأجراس الخيام، وبأن الضباط الموقرين قد قضوا طوال الليلة الماضية في زيارة الجنرال فون راباك. ظهر وجه ليبيدتسكي ذو اللحية الحمراء من النافذة أثناء كلام الرقيب. كان ثملا وبالكاد يستطيع الرؤية، نظر الى وجوه الضباط النائمة وصبح عليهم.

ثم سألهم:

- **"هل كل شيء على ما يرام؟"**

أجابه لوبتيكو بتثاؤب:

- **"رقبة أحد الاحصنة ملتهبة بسبب الطوق الجديد".**

أخذ القائد تنهيدة ثم صرخ قائلا:

- **"أنا أفكر بالذهاب الى الكسندرا يفغرافونا. يجب أن أدعها. حسنا، مع السلامة. أراكم عند المساء"**

انطلقت المجموعة في طريقها بعد ربع ساعة وبينما هم في الطريق ومع مرورهم عن مخازن الحبوب، نظر ريابوفتش الى منزلٍ على يمينه. كانت الستائر منزلة على كل الشبابيك مما يدل على أن اصحاب المنزل كلهم نائمون. كانت الفتاة التي قد قبلت ريابوفيتش نائمة أيضا. حاول ان يتخيلها نائمةً.

شبابيك غرفة النوم الواسعة، الفروع الخضراء المتدلية، عذوبة الصباح، رائحة الحور، الأرجوان، والازهار، التخت، كرسي عليه بعض من التنانير التي كان لها ملمس حفيف بالأمس، الاحذية الصغيرة، الساعة الصغيرة على الطاولة، صور لنفسه كل هذه الأشياء بوضوح. لكن كانت ملامح الوجه والابتسامة الحلوة النائمة مميزة ومهمة بالنسبة له. انزلقت كل هذه الصفات والتصورات من مخيلته كما ينزلق الزئبق من بين الاصابع. عندما قطعوا نصف ميل، نظر الى الخلف فاذا بالكنيسة الصفراء والمنزل والنهر قد اختفوا في الضوء. كان منظر النهر بضفافه الخضراء والسماء الزرقاء المنعكسة عليه بالإضافة الى اللمعان الذهبي لأشعة الشمس هنا وهناك جميلا. حدق ريابوفتش في المكان للمرة الاخيرة، وشعر بحزن شديد وكأنه كان يحتفل مع شخص قريب وعزيز جدا عليه.

لم يكن هناك وجدود لأي شيء في الطريق خلفه باستثناء بعض الصور المملة. كانت هناك حقول من الذرة والحنطة السوداء يمينا ويسارا مع تواجد الغربان التي كانت تتنقل فيها. كان موقعه في منتصف الموكب حيث أنه إذا القى نظرة الى الأمام فانه يرى رؤوس الضباط والغبار واذا ما نظر تارة للخلف رأى أيضا نفس المشهد. كان هناك اربعة رجال من حملة السيوف في المقدمة تلك كانت المقدمة. ثم يأتي حشد المنشدون خلفهم، وخلف المنشدون تأتي الأبواق المحمولة على ظهور الخيل. على الاغلب أن المنشدون، الذين يسرون وكأنهم حملة الشموع في موكب جنازة، قد نسوا دليل الطريق حيث ادى ذلك الى قطع مسافة طويلة. كان ريابوفتش ضمن المدفعية الاولى في المجموعة الخامسة. كان بإمكانه رؤية كافة المجموعات الاربعة تمشي أمامه. لقد كان هذا الموكب العسكري المضجر بالفوضى غامضا

ومعقدا بالنسبة لاي انسان وليس فقط بالنسبة لرجال العسكرية أنفسهم. لقد كان العديد من الناس يلتفون حول المجموعة بشكلٍ غير مفهوم. انه ايضا من الصعب أن يفهم المرء سبب وجود كل هذه الخيول ملتفة حول المجموعة بهذا النمط الدائري المعقد. كان الأمر واضحا وضوح الشمس بالنسبة لريابوفتش وقد اعتبر هذا الأمر مملاً للغاية. لقد علم من قبل عن سبب وجود رجل مدفعية قوي البنية شجاعا في قيادة مقدمة كل مجموعة ولماذا يسمّى بهذا الاسم أيضا. يتواجد خيالة الوحدة الاولى خلف هذا الرجل مباشرة ثم الوحدات في الوسط وهكذا. كان ريابوفتش على علم بان الخيول المركوبة على اليسار لها اسم معين والتي على اليمين كذلك كان ذلك مملا للغاية حيث جاء اثنان من الخيول المربوطة خلف الخيالة. جلس رجل على أحد الخيول وكانت تبدوا عليه اثار الغبار من الأمس وكان هناك قطعة خشب خرقاء تبدو مضحكة على رجله. علم ريابوفيتش سبب وجود قطعة الخشب هذه ولم يفكر فيها كشيء مضحك. قام الخيالة بتوجيه اسواطهم بشكل فوري ثم بدأو بالصراخ من حين الى اخر. كانت المجموعة بحد ذاتها سيئة للغاية. كان هناك أكياس من نبات الشوفان في الجزء الاول من المجموعة مغطاة بالقماش، حيث كانت المجموعة بأسرها ملتفة بالأقدار وحقائب وأكياس الضباط، التي بدت وكأنها عبارة عن حيوان اليف محاط بالعديد من الرجال والخيول لسبب غير معروف. تقدم ستة رجال مسلحون يلوحون بأيديهم من الجانب المواجه للرياح. جاء العديد من الخيالة بعد الموكب الأول وجاء الموكب الثاني وبعد الثاني جاء الثالث وتلاه الرابع مع ضابط يقف بالقرب منه وهكذا. كانت الكتيبة تحتوي على ستة مجموعات لكل مجموعة منها أربعة مواكب. غطّى الموكب نصف ميلا وانتهى مشكلا طابورا طويلا من الأسلحة بالقرب من مكان وجود مخلوق ملفت للنظر الحمار(ماغار) وكان قد تم احضاره من قبل أحد القواد من تركيا ثم مضى الحمار متأملا برأسه ذا الأذنان الطويلتان.

نظر ريابوفتش بلا مبالاة الى الأمام والى الخلف حيث لم يكن يرى الا مؤخرة الرؤوس والوجوه. كان من الممكن أن يسهو في نوم خفيف بأي لحظة ولكنه كان في تلك اللحظة غاطسا في أفكاره المريحة. بالبداية وعندما كانت السرية تنطلق في طريقها حاول جاهدا ان يقنع نفسه بأن تلك القبلة التي حصل عليها كانت أمرا غير مجدٍ للاهتمام بل انه كان حدثا غبيا وغامضا على الاقل، لكنه الان قد غادر الواقع والمنطق مستسلماً لأحلامه وتخيلاته. وفي لحظة ما تخيل نفسه واقفا في منزل فون راباك في غرفة الرسم تلك ومعه تلك الفتاة ذات الطقم الارجواني والأخرى الحسناء ذات الثوب الأسود. بدا له الأمر سهلا بأن يغلق عينيه متخيلا نفسه مع فتاة اخرى غير معروفة الملامح وغامضةً تماما، ولكنه يكمل خياله ويتكلم معها ثم يداعبها ويتكأ على كتفها. تصور في نفسه ايضا ان هناك حرباً تسببت في انفصالهم ومن ثم عادوا مرة أخرى وتزوجوا وانجبوا أطفالا.

- "توقفوا"

كان الجميع يردد هذه الكلمة التي كانت ترن في اذان الموجودين كلما وصلو الى منحدر ما.

صاح ريابوفتش ايضا قائلا:

- "توقفوا"

ولكنه كان خائفا حيث أنه من الممكن ان تقوم هذه الكلمة بإيقاظه من مخيلته الى الحقيقة والواقع.

عند مرورهم عن حديقة لأحدهم، نظر ريابوفتش الى الحديقة من فوق السياج فاذا به يجد سرباً من الاشجار كأنها جيش منظم وكانت الحديقة منثورة بالرمل الاصفر وممتدة بأشجار البتولا. لقد رأى كل هذا في عينيه، ومع لهفته القوية للخضوع للخيال والاحلام وجد نفسه متخيلاً خطواتٍ انثويةٍ صغيرةٍ على مدى الرمل الاصفر، وفي هذه اللحظة وبشكل هادئ وغير متوقع اصبحت أمامه صورة الفتاه الي قبلته واضحةً بكل تفاصيلها وملامحها حيث كان قد رسم هذه الملامح في مخيلته ليلة ان تلقّى القبلة قبيل العشاء. علقت تلك الصورة في ذهنه ولم تغادره مرة اخرى.

وفي منتصف النهار صرخ أحدهم بالقرب من سلسلة العربات قائلا:

- **"تمهلوا! انظروا الى اليسار ايها الضباط!"**

قام قائد السرية بقيادة عربتين مع اثنين من الخيول البيضاء وتوقف بالقرب من المجموعة الثانية وصرخ قائلا شيئاً غير مفهوم. ثم اندفع إليهم العديد من الضباط ومن بينهم ريابوفيتش.

حسنا، سأل الجنرال يرمش بعيونه الحمراء " هل هناك أي مرض؟

متلقيا اجابته، الجنرال رجل صغير الحجم ورفيع البنية ، فكر للحظة وقال مخاطبا أحد الضباط :

أحد سائقيك التابعين للمدفع الثالث قد قطع ساق حارسه وعلقها على جزء الصدارة من المدفع لهدف التوبيخ.

وأدار عينيه "لرايبوفيتش" وتابع قائلا:

يبدو لي أن حزامك الأمامي طويل جدا، مما يجعل بعض الملاحظات الاخرى مملة ، نظر الجنرال الى "لوبيتوكو" وابتسم ابتسامة عريضة.

تبدو حزيناً جداً اليوم ، الملازم "لوبيتوكو" قال : هل أنت متلهف للمدام "لوبهوف" ؟ الرجل المحترم ، هو متلهف للمدام "لوبهوف"

لقد كانت تلك المجهولة امرأة طويلة القامة، قوية البنية وكانت قد تعدت عمر الأربعين منذ مدة طويلة، ظن الجنرال الذي يحب النساء القويات بغض النظر عن عمرهن ان ضباطه يحبون هذا النوع من النساء ايضا.

ابتسم الضباط احتراما. بابتهاج، ضحك الجنرال ضحكة عالية بعدما قال شيئا ساخرا وممتعا، ثم امر سائق العربة بالتحرك والقى التحية فبدأت العربة بالتحرك..... فكّر" رايابوفيتش" قائلا لنفسه وهو ينظر الى الغبار المتناثر خلف عربة الجنرال: "إن كل ما احلم به ويبدو الي امر مستحيل وغير مقول، هو في الحقيقة شيئا عاديا للغاية. انه امر طبيعي وكل شخص يمر به...فذلك الجنرال، على سبيل المثال، أحب امرأة في أحد الأيام وهو متزوج الآن ولديه اطفال. الكابتن فاتر ايضا متزوج على الرغم من ان مؤخرة رقبته شديدة الاحمرار وقبيحة وانه سمين لدرجة انه ليس لديه خصر. "سارلنانوف" ايضا كان يمر في علاقة حب انتهت بالزواج. انا لست مختلفا عن الجميع، انا ايضا اريد ان امر في هذه التجربة كالجميع عاجلا ام آجلا..

الفكرة بانه شخص عادي وحياته أيضا عادية، أعطته البهجة والشجاعة. ورسم حياته وسعادته بلوحه فنيه كما هو في غاية السعادة، ولم يضع كبح العواطف في خياله .

وعندما وصلت فرقة الجيش الى مكان الراحة المعتاد في المساء. بدأ الضباط بأخذ قسط من الراحة في خيامهم. كان "رايبوفيتش" "ميرزلياكوف" و"لوبيتوكو" يجلسون حول الصندوق ويحتوي هذا الصندوق على طعام العشاء. "ميرزياكوف" بدأ بالاكل يدون تسرع وكذلك كان يمضغ الأكل بشكل متعمد وقرأ (فيستنك افروبي) وهو جالس على ركبتيه و "لوبي توكو" يتحدث باستمرار مع بقاء كأسه مليئة بالبيرة. و "رايبوفتيش" رأسه كان مكتئب من الحلم طوال اليوم، وكان ثملاً ولم يقل شيئاً وبعد شرب ثلاثة كؤوس تناول جرعة صغيره من الخمر وشعر بالضعف وأصابته رغبة الاغواء من أجل معرفة أحاسيسه الى رفقائه.

يوجد شيء غريب حدث لي في "برقون رابيكس" هو بدأ بمحاوله وضع نغمة ساخرة وغير مبالية الى صوته.. " أنت تعرف بأنني ذهبت الى غرفه البلياردو.. .
هو بدأ بوصف حالة القّبلة وفيما بعد عاد الى الصمت وفي مساء تلك اللحظة قال كل شيء، شيء ما فاجئه بشكل مخيف كيف بوقت قصير اخذته لقول ذلك الشيء. هو تخيل بانه كان سيستطيع قول قصة القبلة في صباح اليوم التالي. "ليبو توكو " كان كذاباً كبيراً ونتيجة لذلك يعتقد بانه لا أحد نظر اليه بشكل مشكوك فيها أو ضحك عليه . "ميرزلياكوف" شد حاجبه بقوة بدون تحريك عينه عن (فيستنك) وقال انه شيء غريب وكيف ذلك . تلقي بنفسها على رقبة الشخص بدون مخاطبة او كشف عن اسمها. لذا هي يجب أن تكون نوع من العصبية (الهستيريا).
نعم كما يجب أن تكون ... "رايبوفيتش" وافق على ذلك.

نفس الشيء حدث معي، قال "لوبي توكو " بتعبيره بشيء مخيف، أنا كنت ذاهب في اخر السنة الى "كوفنو" وأخذت التذكرة الثانية والقطار مزدحم وأنه من المستحيل النوم وانا أعطيت الحارس قطعة من النقود وهو أخذ امتعتي وقادني الى غرفة صغيرة واستليقت وغطيت نفسي بالبساط .انه كان جو مظلم، أتفهمني . وفجأة شعرت بأن شخص ما يلمس كتفي ويتنفس في وجهي فحركت يدي وشعرت بكوع شخص أخر وفتحت عيناي وانا فقط اتخيل بالمرأة. عيون سوداء وشفاه حمراء مثل سمكة سالمون وخياشيم التنفس بشكل منفعل وحضن مثل ماده عازلة.

المعذرة .. " ميرزلياكوف" قاطع بشكل هادئ، أنا أفهم فيما يتعلق بالحضن ولكن كيف يمكنك أن ترى الشفاه والجو مظلم.

"لوبي توكو" بدأ بمحاولة وضع نفسه يميناً ويضحك على تخيل " ميرزليا كوف" مما جعل "رايبوفيتش" مكتئباً قليلاً وهو مشى بعيداً عن الصندوق وذهب الى السرير وتهد بعدم كشف السر مرة اخرى.

معسكر الحياة بدأ والأيام تدفقت واحداً مثل الاخر . وفي تلك الأيام "رايبوفيتش" شعر وفكر وتصرف كما أنه قد وقع في الغرام. كل صباح عندما فوض أمره الى الماء ليغسل رأسه مع ماء بارد، هو اعتقد ان هناك شيء ما دافئ ومبهج في حياته.

وفي المساء عندما بدا رفاقه يتحدثون عن الحب والنساء هو يود السماع ويقترب، وارتدى تعبير الجندي عند سماعه عن وصف المعركة حينما أخذ المشاركة في خوض الحرب. عند استمتاع الضباط مع الكلب الكبير في المساء. " لوبي توكو" جعل في رؤوسهم رحلات (دون جوان) الى ضواحي المدينة و " رايبوفيتش " شارك في الرحلات وهو دائماً حزين وشعر بشكل عميق بأنه المذنب وهو بشكل داخلي توسل الى مسامحتها في دفئ ساعات الفراغ والليالي الغير ملائمة للنوم. عندما بدأ بالشعور الى تذكر طفولته وأبيه وأمه . وكل شيء أصبح قريب وغزير وفي الحقيقة هو بثبات كان يفكر ب ("ميستيتكي ") الحصان الغريب الاطوار وزوجته التي كانت مثل (امبريس اوجيني) والغرفة المظلمة وفتحة الضوء في الباب.

وفي الواحد والثلاثين من اغسطس هو عاد من المعسكر ولكن ليس مع فرقه الجيش الكاملة. ولكن مع اثنين فقط من العدة الحربية. هو كان يحلم ومستمتع رغم أنه عائد الى أرض الوطن . هو أخذ بالشوق والحنين لرؤية الحصان مره اخرى والكنيسة وعائلة (فون رابيكس) الغير مخلصة والغرفة المظلمة . الصوت الداخلي الذي يخدع العشاق ويهمس له لسبب ما وهو سيكون متأثر لرؤيتها وهو كان معذب من خلال عدة أسئلة، كيف ينبغي عليه رؤيتها وماذا سيتحدث معها وهل نسيت القبلة أم ماذا. اذاً قد جاء السوء الى الأسوأ حتى وان لم يراها سيكون من السعادة له أن يذهب الى الغرفة المظلمة ويتذكر الماضي.

وبحلول المساء ظهر هناك بالأفق الكنيسة المألوفة والحبوب البيض. دقات قلب " رايبوفيتش" لم تمكنه من سماع صوت الضابط الجالس بجانبه بينما كان يقول له شيئاً ما. لقد نسي كل شيء ونظر بشغف الى ذلك النهر المتلألئ في الأفق البعيد، الى سطح ذلك المنزل، الى سرب الطيور الذي كانت فيه الحمامات تدور تحت صفرة غروب الشمس.

عند وصولهم الى الكنيسة وسماعهم الى الأوامر، توقع أن رجلاً على ظهر حصان سوف يأتي الى ساحة الكنيسة ويدعو الضباط الى قدح من الشاي، ولكن تم الانتهاء من تلاوة أوامر السكن وكان الضباط على عجلة من أمرهم للذهاب الى القرية ولكن ذلك الرجل لم يظهر.

"فون رابيك" سوف يستمع الى الفلاحين في ان واحد ويرسل في طلباتهم. فكر "رايبوفيتش " بينما كان ذاهباً الى الكوخ غير قادر على استيعاب انه لماذا كان الرفيق يشعل شمعة ولماذا كان الخفر على عجلة من أمرهم في وضع اناء (ساموفارز).سيسيطر عليه شعور بالقلق ممزج بالألم، وتمدد على الارض ثم نظر خارج النافذة ليرى اذا كان قد وصل الرسول، ولكن لم تكن هناك أي اشارة على وصوله.لقد تمدد مرة اخرى على الأرض، ولكن بعد نصف ساعة نهض ولم يكن قادر على السيطرة على قلقه . ذهب الى الشارع ومشى نحو الكنيسة . لقد كان الجو المحيط بالكنيسة مهجورا ومظلماً، وكان هناك ثلاثة جنود يقفون بصف واحد بصمت في بداية الطريق الواصل الى أسفل التلة. لهف ثلاثتهم برؤية "رايبوفيتش". وأدوا له التحية وبادلهم التحية أيضاً. وأكمل طريقه نزولاً الى الطريق المألوف.

على الجانب البعيد من النهر كانت السماء غارقة باللون القرمزي، والقمر في صعود، فلاحتان تتكلمان بصوت عال أثناء التقاط الكرنب من حديقة المطبخ وكان هناك بعض الاكواخ المظلمة خلف حديقة المطبخ. بينما على الجانب القريب من النهر كان كل شيء على ما هو في شهر ايار. الطريق، الأشجار ونبات الصفصاف الذي يخيم على المساء. ولكن لم يكن هناك أي صوت للعندليب الشجاع ولم تكن هناك رائحة لشجرة الحور ولا للعشب جديد النمو.

ومع وصوله الى الحديقة، نظر "رايبوفيتش" داخل البوابة. كانت الحديقة مظلمة وهادئة، بالكاد استطاع أن يرى أي شيء باستثناء السيقان البيضاء لشجرة" البتولا" وشيء من الطريق المشجر، أما باقي الأشياء فكانت قد التحمت مع بعضها البعض في ضباب سوداوي.ثبت "رايبوفيتش" سمعه وبصره بحماسة. لكن بعد انتظار دام لربع ساعة وبدون سماع أي صوت ولا الامساك بأي لمحة ضوء، عاد ادراجه بخطوات مثقلة.

مشى نزولاً الى النهر. بدى وكأن حمام الجنرال تماماً مثل أوراق الحمام التي كانت بيضاء قبل وصوله. ذهب الى البحر، وقف قليلاً. ثم بهدوء وبدون أي حاجة لامس الأوراق. كان ملمسهم خشناً وبارداً، نظر الى الاسفل الى المياه. يجري النهر مسرعاً مع قرقرة بالكاد تسمع، مدوراً الأكوام في يد الحمام. تشكل انعكاس للقمر الأحمر بجانب الضفة اليسرى من النهر. قامت موجات صغيرة بكسر ذلك الانعكاس وقسمته الى أجزاء وبدت كأنها تريد أن تذهب به بعيداً.

"بالغباء" "بالغباء" فكر "رايبوفيتش" وهو ينظر الى المياه الجارية، " بالغباء كل شيء". لم يعد يتوقع أي شيء الان. حادثة القبلة، عدم صبره، أماله الغامضة مع احباطه، كلهم ظهروا مرةً واحدة الى الضوء. لم يعد من الغريب له أنه لم يشاهد رسول الجنرال، ولا الفتاة التي كانت قد قبلته عن غير قصد بدلً من أن تقبل أحدً اخر. بل على العكس من ذلك سوف تبدو له شيئاً غريباً إذا لاحظها.

كانت المياه تجري. ولم يعرف الى أين ولماذا، مثل ما كانت في شهر ماي. كانت المياه قد تدفقت الى النهر الأكبر ومن النهر الأكبر الى البحر، ثم صعدت على شكل بخار ومن بعد ذلك تحولت الى أمطار، وربما هي نفسها المياه التي كانت تجري قبل "رايبوفيتش"... لماذا. وما الغاية؟.

بدى العالم أجمع والحياة كلها كأضحوكة بلا جدوى وبلا هدف ل "رايبوفيتش". حول نظره من الماء الى السماء، وتذكر مجدداً كيف أن القدر قد اوقعه في حب تلك المرأة المجهولة. وتذكر أحلامه وخياله الصيفي وكيف اصبحت حياته مليئة بالحزن، وابتُلِيَ بالفقر وبشحب اللون.

عندما عاد الى كوخه لم يجد أحدً من رفاقه. أخبره المنظم أنهم ذهبوا جميعاً الى الجنرال "

فون راباك" الذي كان قد بعث رسولاً على ظهر الخيل لدعوتهم...

كان روبفيتش يشعر بالبهجة في قلبه للحظة من الزمن، لكن ذلك توقف فجاه. ثم ذهب الى النوم غير راض عن نصيبه كأنه لذلك قرر عدم الذهاب الى الجنرال.

لمزيد من أبحاث مشاريع التخرج لطلبة جامعة النجاح الوطنية – كلية العلوم الإنسانية
قسم اللغة الإنجليزية وآدابها

زوروا مستودع أبحاث النجاح